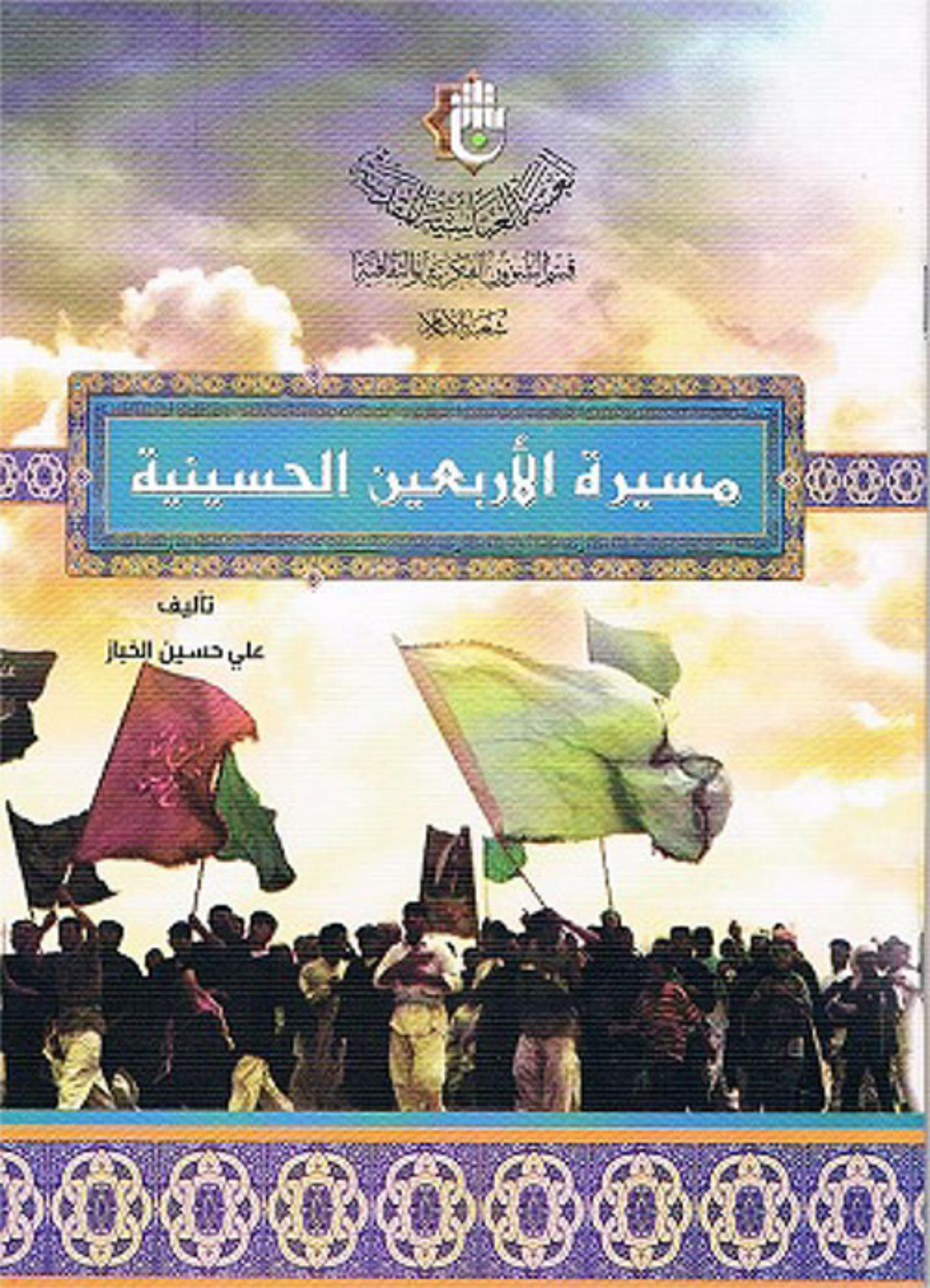
مسيرة الأربعين الحسينية
تأليف
علي حسين الخباز

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

مسيرة الأربعين الحسينية

تأليف
علي حسين الخباز

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥ـ١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: مسيرة الأربعين الحسينية.

الكاتب: علي حسين الخباز.

الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

التصميم والاخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.

التدقيق اللغوي : لؤي عبد الرزاق الأسدي.

المطبعة:دار الضياء - النجف الاشرف ٣٠٦٠٠٠١٠٨٧٠.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠.

محرم الحرام ١٤٣٤-كانون الأول ٢٠١٢

:ـ نامي جيدا

:ـ لست نعسانة يا أبي

أستطيع كأب ان أعرف ما تشعر به ابنتي من سعادة وفرح وما يجوب في خاطرها من حنين، حين كنت بعمرها عشت نفس الحلم،حيث عشت ليلة من ليالي صباي اتذكر كيف كنت استعجل الصباح لأذهب مع مشاية في الأربعين.

:ـ سنطلع بعد صلاة الفجر، نامي جيدا ينتظرك طريق طويل.

لم تكن رغبتي ان اصطحب طفلة بهذا العمر لمسير متعب، لكن اصرارها الغريب جعل أمي تقتنع بالفكرة وقد تبنتها تماماً.

:ـ ستأتي معي، لاتشغل بالك بها.

:ـ هل يتحمل جسدها الطري زحمة الطريق ومشواره الطويل.

اعترضت حينها ابنتي رقية.

:ـ انا لااتعب مادمت ذاهبة اليه، بابا اريد ان أرى الأربعينية.

:ـ نعم ابنتي سآخذك للزيارة بالسيارة.

:ـ لابابا سنمشي مع (المشاية) ـ لماذا تحرمني المشي وهناك أطفال أصغر مني يمشون مع اهلهم كل سنة؟

:ـ انا أخاف عليك التعب يا ابنتي.

وتذهب بي الذكريات مع مشاية الأربعين، أشعر بشوق أن أعانق طفلتي وأمشي الى كربلاء مثلما كان يفعل أبي ومثلما كان يفعل أبوه، كنت أمشي معه لأقتحم عوالم كبيرة بقيت راسخة في حياتي ورغم هذا كنت كثير الاسئلة، ما إن أرى شيئا لا أعرفه إلّا وصرخت.

:ـ بابا (شنو هذا؟)

ويجيبني الرجل بصبر عجيب كان يدرك مهام هذا المسير الأربعيني وما سيتركه من أثر في حياتي هو يعرف بفطرتِهِ ماستؤدي هذه (المشية) الأربعينية بالنسبة لطفل لايعرف من الدنيا سوى البيت والمحلة والجيران، هو يريدني أن أطلّع على هذا الإرث المبارك لأقود أبنائي حين أكبر لنفس المشوار وكنت فعلاً أنبهر بكل شيء

:ـ بابا (هذا منو؟)

ويشرح لي رحمه الله كل مايعرفه عن الشخصيات التي تأثر بها ـ أنا أعتقد ان الوقت قد تغير فما عاد اطفالنا مثلنا... فهم يدركون كل شيء، يعرفون المسير الأربعيني وغاياته واهدافه، ويعرفون تقريبا اغلب ما يعرفه الكبارعن تلك المظاهر فهم اكثر نضجا من طفولتنا واكثر ادراكا واطلاعا على الامور، ابنتي تعرف وتدرك ما معنى ان تمشي الى كربلاء الحسين وتعرف الغاية تماما، ولذلك ايقظتني لصلاة الفجر.

:ـ بابا قم للصلاة كي نتوكل على الله.

وذهبت بعدها لتوقظ أمي، كانت اليقظة تشع في وجه ابنتي رقية، بالتأكيد هي فرحانة لحد الجنون، بالتأكيد هي مشتاقة لترى تلك الملايين البشرية ـ كيف تعانق زهو الطريق، لترى الاطفال والنساء ـ ولترى كل ما تسمعه او تراه في بعض الفضائيات التي تعرض المسيرة الأربعينية في اغلب تفاصيلها ـ وتنقل محاورات بعض الزائرين وبعض

التحليلات التي تخلق عوالم شغوفة تتطلع لمعرفة كل شيء في هذا المسير الأربعيني الصبور،

:ـ (حضري) نفسك لنخرج.

:ـ سآخذ لعبتي معي.

:ـ اتركيها هنا كي لاتتعب.

:ـ لابابا هي مثلي مشتاقة الى كربلاء.

وهكذا اصرّت على اصطحاب لعبتها الدمية معها، احساسات غريبة تبدأ مع الإنسان منذ خطواته الأولى اشياء لم يعهدها من قبل،هو يراها كل يوم ... لكن ليست بصيغتها المتوهجة اليوم، فترانا نتفرس في الطريق ـ في الاشياء التي نمر بها وكأننا على يقين بوجود اشياء مختلفة، يبدو ان الوالدة ارادت ان تعلمنا اشياء جميلة تبارك صحوة الطريق، رفعت يدها وطلبت منا ان نقرأ سورة الفاتحة على روح أم البنين عليها السلام للشفاعة وتسهيل الأمر، وطلبت منا الصلاة على النبي واهل بيته عليهم السلام وصاحت :ـ يا حسين

ومنذ اولى الخطوات اليه، بدأت الوجوه تلتقي لتعزز الفة المسير مع كل خطوة هم يكثرون ... ورقية ابنتي تنظر الى الناس فيزيد ائتلافها وتزيد التصاقا بلعبتها تتحدث معها وكأنها فعلا تسمع وتتكلم، شعرت ان هناك اشياء خفية تشعرنا بالاعتزاز، نعيشه في دواخلنا وفي وجوه الناس والشوارع والطرق، عوائل تخرج وعشائر ومناطق تأتلق عند حدود خطواتها ـ بيارق اعتلت وهي ترفرف عاليا.

:ـ بابا (اشكد حلو الدرب هذا اليوم)

تتوحد النوايا مثلما يتوحد الطريق وتتوحد الهمم ايضا، لايقدر احد ان يفرق بين

خطوات شاب وخطوات عجوز، وحتى الاطفال تكبر خطواتهم لحد مذهل وعجيب، لااعتقد ان رقية قادرة على تخيل لحظات الانتقال من نهار الى ليل ومن ليل الى نهار وهي تمشي في شارع كل مافيه مضيء.

:ـ ألا زلتَ قلقاً.

:ـ أنا اخشى عليك فانت تعانين منذ مدة من تعب وارهاق، واخشى عليك يا أمي تعب الطريق، وحراك رقية.

:ـ ابنتي هادئة ـ لاتقلق، القضية اكبر من محتوى تعب وطريق.

:ـ ماما التلفزيون ينقل كل تفاصيل هذا المسير وكان الأولى لها ان تجلس في البيت.

:ـ وهل اجلسك ابوك ليذهب وحده الى كربلاء؟ الا تذكر كل عام كان يأخذك معه بل كان يحضر اغراضك بيده ويصنعُ لك علما، وحتى ايام الممنوع كنت لاتفارق خطواته، كنا نخشى عليك ونتوسل به كي يتركك ولا يستجيب لإلحاحِكَ وتوسلك لكن كان يقول.

:ـ لاتخافوا عليه ان الله هو ارحم الراحمين مع زوار الحسين عليه السلام.

هذه امانة يا ولدي كل اب لابد ان يعلم ابنه ابنته ما معنى الولاء.

حقا لااحد يكترث لتلك القواطع الكونكريتية التي تفصل الشارع عن البيوت، وهي لاتقدر ان تمنع الطبيعة العراقية المضيافة، فلذلك خرجت التكايا ونصبت المضايف لاستقبال (المشاية) بالترحيب وتقديم العزاء والولاء وكلمات تؤازر المسير، فوجدت نفسي اصغي الى كل شيء، الى انفاس رقية، الى اصوات الدعوة والدعاء و(سبيل يا عطشان، اشرب الماء يا زاير والعن يزيد) .

:ـ (زاد ابو علي) ظلت ذاكرتي تدور لماذا تأخذنا الرغبة وسط هذا الصخب المؤمن الى الصمت، الاختلاء بالذات.

:ـ ماما انت متعبة لو كنت بقيتِ في البيت أحسن،أراد أيضاً ان يلومها على اصطحاب رقية بمجيئها فتذكر صوتها الذى ملأ اذنه وقلبه

:ـ بابا (عليك الحسين أخذني وياك)

ثمة قلق يعتريه كلما سعى فكره ليوازن بين فاعلية عمر أمّه وهي تحمل سنوات الألم وقد صبرت العمر كله على (الحلوة والمرة)، كي نكبر رغم وفاة الأب وحملت أمّي ترملها صبرا، ارملة تعمل على ماكنة خياطة كي تعيل ابناءها، وبين ابنتي رقية التي تنتظر بفارغ الصبر ولادة اخيها (عبد الله) ولذلك صارت تنادم لعبتها بقوة حاولت ان افصل لعبتها عنها لكنها توسلت.

:ـ بابا (اريدهه تزور وياي).

اداريات العمل الوظيفي علمته كيف يتعامل مع تفاصيل الساعة زمانيا ويراقب مرورها بالدقائق حسب ما يتطلبه العمل لهذا انتبه وبدافع التعويد الوظيفي الى الزمان الملغى من دائرة التعامل، لاأحد يسأل عن الساعة إلا للصلاة ـ لااحد يترقب التفاصيل الزمانية لكي يوقت عمله، هنا الفعل اكبر من الزمن وحساباته، فعل (المشاية) امتزاج بين اليقظة والحلم وامتزاج الماضي والحاضر والغد، وكذلك التفاصيل المكانية، انت تمشي وترى كربلاء طيفا يدعوك، كربلاء معك وامامك في كل خطوة، لتصبح هي كل مكان، الامر مدهش حقا كيف تستطيع تلك الخطوات ان ترفع عن الانسان كل تلك الهموم التي تعتريه والآلام التي يكابدها في حياته الاعتيادية وهموم الشغل والبيت و.. كيف تتوحد مسارات الحياة كلها في خطوة واحدة، تلد الدعة والراحة والطمأنينة،

كيف يصبح الانسان خارج ذاته من اجل ان يسمو بذاته / وكيف يصبح خارج الأطر الزمنية كي يلم بين يديه الزمان، كل الكتب المقروءة تعجز، ان تفسر معنى هذا الحيل الذي يرفع الانسان عن نفسه ليتحدى كهولة التعب، فتراه يقوّي عزيمة طفلة.

:ـ بابا هل تعبت

:ـ انا صرت اخاف عليك ان تتعب انت يا بابا، (وتالي اشوف) انا وجدتي سنصل قبلك،

لابد ان نقتنع بوجود اشياء كثيرة تتعثر في دواخل الانسان اثناء المسيرالولائي، يستمع الى احاديث المارة فيجد ان هناك حصيلة تعينه على اللهفة والهدوء،

:ـ ماذا يقول من يأتي من البصرة ؟

:ـ ناس ياتون مشيا من الهند،

زوج يسأل زوجته

:ـ هل بردت ؟

:ـ لا ..

فانتبه لهذا الشعور العظيم بالتحدي، تحدي قساوة البرد والتعب، وتحدي عشرات الكليومترا ت، وتحدي سهام حرملة ونار الخيام، يرفع شعار .. أبد والله ما ننسى حسيناه

يصحو البكاء لغشاوة الجراح، ويحلو الفرح والبهجة لنصرة الحسين عليه السلام نصرة تشعر الانسان بانه احتضن التواريخ كلها

:ـ بابا (لاتخاف، أنا لااحس بالتعب)

قادته الفكرة إلى سؤال

:ـ كيف تتواءم برودة الاجواء مع حرارة هذه المشاعر الجياشة ؟

كيف يسير الانسان كل هذه المسافات، يقطع مدنا ومحافظات ولا يتعب؟

ماهو الدافع الذي يضخ فيه العزيمة والقوة؟

ماذا لو لم يكن الطريق الى كربلاء ؟.

وماذا لو كانت كربلاء دون الحسين ؟.

فكرة مجنونة تجعله يصرخ داخل صمته، انه جنون عاقل، خيام الاستراحة والزاد هي التي تبحث عن الزائرين.

:ـ هل أعطيك سترتي؟

:ـ (لابابا انا لست بردانة)

نظرت أمي نحو السماء رفعت رأسها وكانها تريد ان تمحصها جيدا ثم قالت:ـ ستمطر.

:ـ سيدفأ الجو.

لو نظرنا الى الطريق .. بتأمل ... فمن المؤكد اننا سنرى لوحة جميلة ارتجلتها المناسبة ـ النداءات والصخب الضاج بالحياة يتجاوب تماما مع مؤثرات الاصوات المنبعثة من مكبرات الصوت، عشائر ومضايف مهمتها تقديم الافطار، تنظيم المخيمات طوابير للخدمة وتسمع تراتيل القرآن.

:ـ الولاء الحسيني تربية لابد ان نربي اطفالنا عليه، رجل كهل كبير السن يسيرماشيا متوكأ على عصاه، ويشعر بانه ضجر من نظرات الناس اليه.

سمعت جواباً ما قرأته في الكتب التي قرأتها وجميع المحاضرات التي استمعت

اليها، ولايمكن لأي شاعر ان يصف هذا المشهد الوجداني، اذ وقف الشيخ الكهل رغم مابه من تعب العمر.

:ـ لماذا تريدونني ان اجلس في البيت، هل انا كبرت الى هذا الحد ؟ وهل انا اكبر عمرا من حبيب بن مظاهر الاسدي . ام يا ترى اكبر عمرا من انس بن الحارث ومن مسلم بن عوسجة ومن برير وزهير، بدل ان تلوموا في وتنظروا الي بعين الترحم، آزروا بعضكم البعض على النصرة، وباركوا كباركم وصغاركم على الولاء.

كل ما يقدم هنا هو نوع من انواع النصرة ولا احد يستصغر عمل احد مهما صغر هذا العمل أو قل شأنه.

انتابتني شهقة كبيرة وانا اراه امامي .. ياه هذا صديقي الشاعر الذي فقدته منذ سنوات.

الشاعر:ـ أهلاً عظم الله لك الاجر وبارك مسعاكم.

وسلّم على امي وابنتي رقية.

:ـ ماما هذا صديق كتابي وصديق شبابي.

:ـ (أهلاً به يخليكم ويحفظكم بجاه ابن الزجية).

بدأ المشي يأخذ شكلا آخر ألذ وأطيب فهناك من سيحاور ويتحاور بعمق في كل مشهد من مشاهد المسير.

:ـ مشتاق لك صديقي.

:ـ وانا كذلك والله، سعادتي ان ألتقيك في أنبل مشوار.

هبت نسائم الطريق ببهجة تحمل البشر الى عائلتي، رقية يبدو انها فرحت كثيرا

عندما رأت صديقي الشاعر وسلمت عليه بحرارة لكنها سرعان ما التفتت الى لعبتها وهي تلقنها

:ـ(نأتيك زحفا سيدي يا حسين)

الشاعر قال

:ـ لابد ان ننظر لعظمة هؤلاء الناس، هم ليسوا بسطاء رغم بساطتهم وعفوية مشاعرهم.

:ـ كيف هل انت تركز على معنى الوعي ام تراك تريد ان تقول انه مجرد تطبع تسامى الى الحقيقة؟

:ـ الوعي .. الوعي الحقيقي دائما هو من يمتلك عمق الفهم الروحي . روح القضية الحسينية .. انظر الى الوجوه فمن المؤكد ان سترى ....،

قاوم الشاعر دمعته ولذلك أردت ان أكسر صمت هذا العويل الداخلي فقلت

:ـ ماذا سأجد؟

هذا الصمت الشاعري اعرفه وانا على يقين ان روح الشاعر التي تسكنه ما فارقته أبداً فهو سريع التأثر حتى بالفكرة قبل خروجها من رأسه وبعد فهو يسعى لجذب منطقة التركيز اليها.

:ـ ستجدُ تماثلاً كبيراً مع الكثير من السمات والملامح التي تدل على الانتماء من خلال وجود اصحاب الحسين فينا .. أنظر اليهم ستجد الف حبيب بن مظاهر والكثير من امهات الوهب، وغيرها من نساء الطف المبارك.

بدأت ملامح الطريق تتوضح حيث اختلطت الأصوات بالتراتيل بقصائد التعزية

وتجد مع كل خطوة يتضاعف العدد بعشرات من العوائل و المسير مستمر، عشرات الآلاف من العوائل ومئات المضايف تفتح تتوسل الزائرين بالراحة والاستراحة، نشيج البكاء تجده في الصدور هوية من ارقى هويات الزيارة الأربعينية،وتتناثر الدعوات الكل يناجي الحسين.

:ـ سيدي ساعد الله قلبك يا سيدي الحسين.

كل شربة ماء او (ماعون) طعام يتبركون به هو شفاعة مختزنة، فالدعوات تتناثر،

:ـ لبيك يا حسين.

جملة تتداولها الالسن شعار مودة وسلام وحتى ابنتي رقية ترفع لعبتها بين الحين والآخر وتصرخ

:ـ ياحسين.

كنت اشعر طوال اللقاء ان صديقي يحمل جرحا في اعماقه ويواصل المسير موجوعاً متصابراً

:ـ ها صديقي احسك تعبانا وتشكو من الم ربما تحاول مداراته عن الناس .. ما بك يا صديقي ؟

:ـ انا متعب يا اخي، وكلما اشعر بالتعب أجد ان علي زيارة مولاي الحسين عليه السلام، هناك اقبع عند ضريحه واطلب حاجتي من الله، اشعر بالارتياح وبأني فعلا وضعت كل ما اشكو منه في صرة ورميتها بعيدا عني واعود مرتاحا مطمئنا، بكى صديقي الشاعر وقال

:ـ انا أريد ان أفجر هذا القلق المخزون في داخلي، استلهم منه الصبر والحكمة

والشجاعة، فهومن وهب الناس دروس التضحية.

:ـ يحاول البعض ان يمنح القضية سمة المذهبية.

:ـ هذه الخطوات كونية لاعلاقة لها باي تكوين سياسي أو اشتغال دنيوي معين يستغل لمعنى مادي او تجاري او حتى كسب معنوي يستثمر لمغزى سياسي،كان لدينا كتّاب مسيحيون وصابئة يكتبون في قضية الحسين واقيمت مواكب حسينية للاخوة المسيحيين والصابئة مثل (موكب وهب النصراني) وموكب (حبيب بن مظاهر) اذ ينظرون إليه بكونه احد المصححين للمسارات الخاطئة .. كان لدينا شاعر مسيحي يحفظ المقتل الحسيني عن ظهر قلب والكثير من قصائد ملا باسم

:ـ ممتاز

:ـ هناك وعي انساني يدرك ابعاد القضية الحسينية ويعرف لماذا هذه الملايين تمشي الى كربلاء حفاة من امنيات الدنيا وامانيها يحلمون بنصرة الحسين عليه السلام،

جاءت (روجة) كبيرة من الناس يجمعهم تنظيم على هيئة موكب يهرولون وهم يرددون

:ـ ابد والله ما ننسا حسيناه.

:ـ التأريخ هنا يمشي على قدميه .. عبارات مقتطعة من احاديث حياتية عفوية تشكل اساسيات الادراك للتعمق في رؤية معرفية ... كوادر اعلامية فضائية تنتشر على طوال الطريق، وأحد تلك الكوادر يلتقي بالزائرين ويسلط الضوء على هذه التظاهرة الولائية، :ـ ساهم الاعلام بتقديم المعايشة الكونية مع الحدث.

:ـ اينما كان الانسان يستطيع ان يشاهد التفاصيل ويسمع الآراء ويعيش حدث

المسير.

تحتم الظروف اشياء كثيرة على الانسان يقول الشاعر:

حدثني احد الاصدقاء وهو صاحب علة اوصلته للشلل.

:ـ كان من المقرر ان الغي مشاركتي في مسيرة هذا العام واكتفي بالزيارة لكن زارني في الرؤيا رجل وقور يشع النور من وجهه .. ابتسم لي وقال

:ـ كنا نلجأ لأهل البيت عليهم السلام لنطلب الشفاء منهم، نمشي اليهم كلما نشعر بمرض وانتم تهربون باوجاعكم عنهم قم اليه، امشي اربعينيته زائرا ماشيا وسألتقيك هناك.

:ـ نهضت من نومي وانا اشعر انها نصيحة جون الي، وما ان صحوت حتى سمعت اذآن الفجر فصليت وخر جت من ساعتها ماشيا وكل شيء من حولي يحفزني للمسير.

صدقني ما ان وضعت رجلي على هذا الطريق حتى شعرت ان صفحة جديدة انفتحت لي اليوم صفحة فيها العافية والصفاء الذهني وسلام في الروح.

:ـ (زاد ابو علي)

:ـ تفضل (زاير) تفضل هنا

اصوات واصوات، اصوات المنادين بصخب الزائرين، اينما ذهبت ستجد السبيل

:ـ هل تعرف ان هذه الجلبة غريبة؟!

:ـ واين هي غرابتها ؟!

:ـ الصخب الوحيد الذي يثير الصمت اليافع فينا.

:ـ سلام عليكم

:ـ عليكم السلام

:ـ (بلازحمة) تفضلوا عندنا .. دعونا نتبرك بضيافتكم

:ـ شكرا، وعظم الله لك الاجر .. مازال الطريق طويلاً .. ونخشى ان يدركنا الوقت.

:ـ أمّة تملأ الشوارع قاصدة سيد الشهداء لتعلن بين يديه النصرة، ورغم كل هذه المشاهد الحزينة نشعر بان الناس مبتهجون، فعلا تجد هناك في داخل كل انسان حزنا عميقا وبهجة نصرة لاتنام.

:ـ (باباتي هل تعبتي؟)

:ـ (بابا اخاف انت تعبت؟)

:ـ لو تنظر الى كل هذه الخدمات .. السرادق والبيوت المفتوحة لاستقبال الزائرين وانواع الطعام والخدمات التي تقدم الى الزائر، كل هذا يتم بجهد تمويلي عام، ليس هناك دعم من حكومة او حزب مهما كان، لكون القضية عفوية.

اقام احد السرادق ماتما حسينياً اذ اعتلى المنبر طفل صغير السن استطاع ان يجذب الجميع اليه لعذوبة صوته ولقوة ادائه، وقف الناس يستمعون اليه ويشار كون العزاء، تمسح امي دمعتها ورقية هي الأخرى تمسح دموع عينيها وتمسح معها دموع لعبتها، يرى الشاعر.

:ـ ان الخزين الشعوري هو عمق حضاري لابد ان يستثمر بما يخدم الانسان، رادود صغير أدهش العالم بعذوبة الصوت مما جعل الناس تتعاطف مع القضية الاساسية، احيل هذا الاعجاب الى نصرة، وهذا الامر يدفعنا للتفكير الجاد فكل واحد فينا لابد

ان يصهر امكانياته للتركيز على الواقع لنعيش المصاب احساسا نؤثر به وكل سيؤثر من معناه وتكوينه وتكوين اشتغالاته.

:ـ هذا الآمان المتدفق في كل قلب.

:ـ هذه هي الزيارة الأربعينية، اربعينية الامام الحسين عليه السلام هي التي تحتفي بالناس، هي التي تبارك لهم المسعى، وتمنحهم تفاصيل عشقهم الروحي ...، ما معنى ان يقف الزائر وبمجرد ان يصيح

:ـ لبيك يا حسين

يزول عنه تعب الطريق وينجلي عنه كل هم.

:ـ هي اجابة واضحة للفضائييات التي تحاول ان تخترق هذا اليقين بشبهات مغرضة.

:ـ تسعى لتزرع فينا الريبة.

:ـ الشعائر الحسينية هي ارادة جماهيرية، لابد ان تحترم وطنيا، ان لم تعامل كطقس ولائي.

:ـ هل تعبت ؟

:ـ لابابا

:ـ هل تعلم لو التقينا الآن كاعلاميين بكل زائر لنسأله عن محافظته ومنطقة سكناه لوجدنا انهم يشكلون باقات ورد عراقية اذ ترى كل محافظات العراق بكافة انتماءاته وهوياته، وسترى هنا وجوداً عربياً واسلامياً ايضاً.

:ـ كلما حاولوا وتر هذا الطقس العبادي، يصحو ليعود لحياة متجددة.

:ـ قد لايعرف البعض معنى ان تسير أمّة الى رشادها، وهذا المسير هو نموذج اسلامي يقيني يحفل بالاصالة والحداثة الا ان اغلب بلدان العالم تحفل به كنموذج عالمي راق، يستعرض اللون الاسود الحزين على اجساد (المشاية) وعلى ملامح المدينة ـ الشوارع ـ الطرقات ـ وصوت (حمزة الزغير) رحمه الله.

ملايين الزائرين واغلبهم يزور سريعا ويترك المدينة كي يفسح المجال للآخرين، وهذا هو من نتائج الوعي العام.

تفاجأنا بضحكة رقية واندهاشتها، اذ رأت منظرا غريبا عليها لم تره من قبل .... جوقة من النساء يربطن طارف عباءة كل واحدة منهن بطرف عباءة اخرى كي لاتضيع من الجمع واحدة منهن.

:ـ بابا .. بابا ...لماذا تشد هؤلاء النسوة عباءاتهن ؟، اجابتها الجدة

:ـ حين تكبرين سأشد عباءتك بعباءتي.

:ـ لماذا ؟

:ـ كي لاتضيعي.

:ـ وكيف تضيع من هي ذاهبة الى الحسين عليه السلام ؟!!!!

ابتسم الشاعر لهذا الموقف ثم سألني

:ـ اكثر من ثلاثين عاما وانت تقرأ الكتب،هل مر في بالك مثل هذا الوعي البريء ولو لاحظت كل شيء هنا يحمل نفس هذه البراءة وعنوانها فلو دققت الآن مثلا في الاسماء ستجدها ليس محض صدفة ان تحمل اسماؤنا ذات القداسة المشحونة بالنبل مثل حسين، عباس، علي، فاطمة زينب، سكينة، رقية،

:ـ نعم (عمو).

:ـ تسلمين.

:ـ جميل هو اسمك.

:ـ اسم رقية بنت الحسين عليها السلام.

اطفال صغار يدعون الناس الى مضايف اهاليهم

:ـ (زاد الحسين).

:ـ لابد ان نحترف صناعة الذكريات لأطفالنا وما أجمل ان نصنع من هذه الطقوس لهم ذكرياتهم

:ـ هؤلاء الناس يعطونك اكثر مما يعطيك الكتاب .. اعلام ـ رايات ـ جمل شعائرية تمجد النصرة والنصر ـ الرؤوس المرفوعة وهي تسير مسرعة نحو الغد ـ اصوات تتحدى التعب

:ـ لبيك يا حسين

الشوارع ايام الزيارة لاتنام يشغلها حراك الناس والأشياء .. سأل احدهم يوما

:ـ من أين تطلع هذه الناس، النظر في عين أي طفل ترفعه أكتاف أمّه سترى ريع الحسين فيه، وسط هذا الزحام تتحرك الملايين البشرية نحو السيارات الخدمية، تجوب الشوارع ـ عشرات السيارات الخصوصية تجلب الماء للتكايا الخدمية، سيارات نفط غاز وسيارات اسعاف وخيم طبية خصصت لمعالجة المتعبين.

:ـ معالجة اورام القدم .. اوجاع الرأس ـ الانفلونزا ـ اوجاع البطن وقرصات البرد الموجعة.

وهي تمشي تقف رقية عند بعض الترميزات التشبيهية مثل نصب صغير على شكل قربة ماء تسيل دما، طشت فيه راس ذبيح، وسقاية الماء وسبيل الشاي ودلال القهوة وجميع اكلات المطبخ العراقي، مع الحلوى بجميع اشكالها واكلات مابين الوجبات، ومكان كبير يعزل لاستراحة ومبيت الرجال وآخر في الجهة المنعزلة يخصص لخيام كبيرة تنصب وهي تعد مبيتا للنساء، ومكان للمبيت ومساجد وقتية للصلاة على طول الطريق

:ـ رقية هل تعبتِ ؟

:ـ (لابابا .. اخاف انتم تعبتم)

وما زالت أمي تقرأ ما تحفظ من كتاب الله وبعض الادعية، فأسمعها تردد

(اللهم بحق فاطمة وابيها، وبعلها وبنيها، لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطانا، ارحمنا وارحم والدينا كما ربيانا صغيرا)

قلت لصديقي الشاعر

:ـ كثيراً ما أفكر في مسألة هذه المشاهد الانسانية، هي رسالة انسانية تحتاج وجدان كاتب.

:ـ الا يوجد عندنا كتاب يقدرون على ترجمة هذه الرسالة الوجدانية الى العالم

:ـ لايقدر اي كاتب ان يستوعب كامل الاحاسيس والمشاعر الصادقة، في أعماق الوجدان الانساني، احساس كبير بالامتنان، فهذه اليقينية هي اكبر من الكتابة وشروطها، أشعر أحيانا ان تلك الخيام لاتوزع الماء والطعام فقط بل توزع الى الناس القوة والوجدان والغفران وجوازات نصرة رابحة،

:ـ صدقني كذلك هو الحال فهي توقظ في الانسان كل شيء جميل ـ العاطفة الحنان

المسؤولية.

:ـ ولهذا يصاب الانسان بقشعريرة كلما يرى مشهدا مؤثرا مستوحىً من الواقعة الاليمة واقعة الطف الحسيني، ويشعر بالرواء حين يذكر أحدنا عطش الحسين عليه السلام، كان لي صديق يصاب بالخناق ويشكو من شلل نصفي لايستطيع الحراك، تدمع عينه كلما يسمع اسم كربلاء، جلس يبكي

:ـ يا رب انظر لحالي، كيف لي ان ارى اصدقائي وهم يخرجون ليسيروا (مشاية) الى الحسين وانا مقعد في البيت.

:ـ يا حسين أدركني بالدعاء مولاي.

وما ان نام ليتسريح حتى سمع صوتا يناديه، صوتاً مضمخاً بنداء التواريخ يعبر من جيل الى جيل

:ـ ألا من ناصر ينصرني

:ـ ألا من ناصر ينصرني

صحا فجأة وهو ينادي

:ـ لبيك يا حسين .. لبيك يا حسين .

وخرج الى الشارع وهو يبكي ويصيح

:ـ لبيك ياحسين

:ـ وربما سنجده في كربلاء او ربما سنلحقه في الطريق اليها،.. مئات الكرامات التي تحمل صلة ربانية بالحدث فنتيقن ان الله معنا يا ابا رقية الله معنا.

:ـ هنا يجمع الانسان كل حصاد السنوات من عمره ليزكيها حين يصهرها في ذاكرة

كربلاء،.. اي مجد هذا الذي يجعل اسمي، انا الرجل البسيط مع سيدي الحسين ....

:ـ هي لبيك يا حسين التي صاغت من هذا المسير امتدادا لايموت.

في كل زيارة أربعينية كانت ترافقني زوجتي لنمشي سوية الى كربلاء ولكن هذا العام ابعدها المرض ومع هذا اصر ت على المسير .. منعتها حرصا على حياتها فكانت تقول

:ـ ماعهدتك الا زوجاً محباً الخير لأهله كيف تريد ان تذهب لنصرة الحسين لوحدك وتتركني في البيت، حنيني الى كربلاء اكبر من المرض فلا تخشَ علي

:ـ أين هي الآن؟

:ـ لقد تردت حالتها الصحية وارجعتها مع اخيها البيت لتبقى مع والدتها.

لاحظنا انتشار كوادر بعض الفضائيات على طوال الطريق لتنقل مباشرة تفاصيل المسير فاجأهُ أحد الاعلاميين

:ـ ما رأيك استاذ بالتغطية الاعلامية التي توثق هذا المسير المبارك؟

أجاب الشاعر ....

:ـ محوران لهذا المسير .. الشكل الذي ينقل ضمن فاعلية التغطية الشاملة كبث مباشر، وبعدها يأتي المحور الروحي هو الجوهري الذي يحتاج الى تأمل ودراسة ومتابعة فكرية، ملايين النوايا تتوحد في هذا الطريق، ملايين الخطوات وهي تتحدى قساوة الحياة وطرائق السنوات العصيبة يملأ قلوبها الدفء والآمان، الخروج الى الحسين يعني نصرة الحياة وشجب كل موت كسول.

قال الاعلامي :ـ

:ـ يحاول البعض ان يعطي لهذه الظاهرة نمطية التخلف؟

:ـ اشياء واهية وضعوها كوسيلة اقناع لقصور ضميري، هم ابتكروها لتكبيت بقايا ضمائرهم الميتة، علما ان البعض يعرف تماما تخلفه هو وما يعانيه من جراء هذا القصور، ويعرف تماما ان تلك الملايين الماشية في المارثون الحسيني هذا العام وكل عام، هي تمتلك صحوة الوعي الحقيقي وعافيته والاكثر من هذا ان البعض منهم يؤمن بان ظاهرة المشي الحسيني هي العقل بمعناه، والا فلا بد ان يسأل احدهم نفسه لماذا تركت هذه الملايين مصالحها واشغالها . بالتأكيد هو يعرف انها خرجت لترفع ذكرى اربعينية الحسين الى فوق مستوى الاحداث كي لاتعامل يوما بالنمطية والهشاشة و كي لاتصبح جزءاً من تراث، هذه الاعلاميات تريد ان تصور للعالم ان هذا المسير المليوني هو مجرد تقاليد بالية يتصورونها ستنتهي في يوم ما، لكن انت والعالم كله يرى كيف هي تتجدد كل عام.

للشاعر رأي جميل وقد يكون غريباً بعض الشيء ان كل شيء في الدنيا له أوجه عديدة وحتى الاشياء السلبية، فهذه الاشاعات المغلوطة والآراء التي تقدم مزورة على اساس انها حقائق، ستصبح ذات يوم لصالحنا.

:ـ كيف ...؟

كلما كبر الصغار تكبر معهم اليقظة والحنين ويكبر معهم السؤال، وحينها سيرون عالما آخراً غير العالم الواهم المقدر من قبل علماء سلفه، فيبدأ القراءة ورحلة الوعي لمعرفة الحقيقة، وتتسع فسحة الاقناع حتى ترى آلاف المستبصرين من كبار الشخصيات العربية والعالمية ينتمون لهذا الركب وجوه جديدة تلتحق كل عام.

:ـ (بابا رقية هل نعستي .. تريدين ان تنامي؟)

:ـ (لابابا انا لست نعسانة).

وتؤيدها امي مباشرة.

:ـ (بعد وقت).

قال الشاعر

:ـ هل تعلم لو لم يمهل الحسين عليه السلام انصاره الليل في واقعة الطف لما نام زائر ابدا / مهما طال به الطريق ... جميل ان ننام على صدر الارض كأيّ شهيد.

عاد الاعلامي وكأنه يبحث عن الشاعر ليسأل سؤالاً ربما كان قد فاته، اوربما ندم لكونه لم يسأله مثل هذا السؤال، وقد يتوقع جواباً مغايراً.

:ـ ما الغاية من هذا المسير؟

فأجاب الشاعر

:ـ المسير الأربعيني لكربلاء والتبرك بمواساة الحسين هو غاية قائمة بحد ذاتها، هو هدف يطمح لتحقيقه الكثير من الناس في انحاء المعمورة، هوهدف نسعى لتحقيقه من خلال ترسيخ مفهوم النصرة الحسينية لنقول للعالم اجمع .. ان الحسين عليه السلام لم ينكسر في يوم ما في لائه المباركة فهؤلاء (المشاية) هم رايات نصره، لينظر من له نظر ويتأمل هذا الموقف الجوهري، الى الجوهر الايماني الذي يستنهض في هذه الاعمار شباباً وشيوخاً واطفالاً ونساءً هذا هو عمق القضية الحسينية.

تمربين مواكب الناس امرأة عمياء يقودها احد ابنائها وهي تنادي مع كل خطوة

:ـ لبيك يا حسين.

:ـ لبيك يا حسين.

:ـ هذا هو الصوت الذي يتسامى ليصنع العناد المؤمن.

هذا هو الصوت الذي يضفي على هذا الصخب الضاج بالحياة.

:ـ انا واضبت على هذا المسير منذ نعومة اضفاري كان أبي يقودني وانا طفل صغير مررت بكل ادوار حياتي كنت اشعر بالتعب واليوم صرت أكبر عمرا وأقل قوة من قبل لكن صرت لااتعب ابدا، واتمنى لو يطول الطريق، صرت اكثر نشاطا لكوني فهمت ان هذا الطريق يمتد الى حيث طف كربلاء.

نسير الى كربلاء نستمد القوة والعزم، وهذا الذي يجعلنا ندخل الطف الحسيني منذ اول خطوة نخرج بها من البيوت.

:ـ النوايا؟

:ـ نعم النوايا..

يتقدم نحونا أحد الأطفال فظننت انه صاحب حاجة قلت لأساعده ربما يحتاج لمساعدة معينة.

:ـ سلام عليكم (عمو).

:ـ عليكم السلام

:ـ (عمو تفضلوا عندنا، زاد الحسين وانواع الطعام وعندنا (لبلبي)، وباقلاء، وشلغم وشوندر).

يضحك الشاعر بابتسامته المعروفة والمصحوبة بصوت وقور يفرق بين الابتسامة والضحكة.

:ـ هذا الصبي يرغبنا للأكل.

:ـ نريد ان نتبرك بكم.

:ـ هل هناك معادلة في الكون تستوعب هذا المعنى، اذْ يعتبر الصبي ان اكبر مكسبٍ في حياته وحياة عائلته ان يقدم طعاما لزائر الحسين عليه السلام ليتقرب به لنصرة الحسين لوجه الله تعالى ..

برهة صمت طالت حتى اني احسست بنشيجه الروحي.

:ـ حقا اننا نستطيع في هذا السبيل ان نكتب اغلب مواضيعنا، كل شيء هنا يصلح ان يكون مادة أدبية ثقافية فكرية، كل شيء هنا له معنى وموضوع.

ينظر صوب رقية فيراها ما زالت متماسكة في مسيرها دون ان تشعر بنعاس، هي تمشي وتحادث لعبتها توضح لها بعض الأمور التي تعرفها عن هذا المسير وتشرح لها ما تراه من مواقف ويسألني.

:ـ هل نستطيع ان نعرف بأية قوة تقاوم هذه الطفلة تعب المشي ومقاومة النعاس؟ ثق لايمكن ان يحسب هذا الصمود الانساني لصالح الرغبة او البراءة وحدها فهناك مرتكز رباني يساندها، والا فطفلة بهذا العمر تتحدث عن هدف المسير وتخبر لعبتها لابد من الوصول الى كربلاء، وبين فترة واخرى تحمل لعبتها عالياً وتنادي:ـ يا حسين

يتدفق الناس كسيل لايهدأ ليل نهار والطريق لم ينقطع أبداً من خطوات الناس، اضواء تلوح من كل افق وانوار تغزل ضياءها المتصاعد، وهج ينبعث من كل مكان وكأن كربلاء زحفت على كل المدن.

سأل احدهم يوماً .. ماهي كربلاء؟

هل نقول مدينة ام كيان أم ياترى هي عبارة عن ارض وناس، أم نقول روح ونفس

ودم ولحم وقلب.

كربلاء .. ولذلك كان البكاء شعورا بالنصرة لابالانكسار، ينهض بالانسان يزيل التعب، ويقاوم تلك الاوجاع التي يكابدها (المشاية) كاوجاع القدم اذ تصاب بضغوط تسبب اوراما وحساسية وصداع رأس وظهر لكن الكل يواجه المسير الكل ينهض

:ـ يا حسين

:ـ لاادري هل نحن نسير الطريق أم الطريق هو الذي يسيرنا؟

: بابا رقية اذا تعبت سأحملك على كتفي.

:ـ انا ساحملك يا بابا لو تعبت.

:ـ المسير أجمل قصيدة يكتبها الشاعر في حياته لكونها ستحمل شعلة النصرة، فتصبح كربلاء هي الزمان مثلما هي المكان.

:ـ يعني عندما يصيح (المشاية) .. ياحسين ينفتح المكان مباشرة على الطف، ويتحول كل شيء الى مواجهة وتحدي ومواساة،وترى امامك العاشر من محرم الحرام،اي ان الصيحة ياحسين تختزل الزمان في بوتقة النصرة في كل آن،، فلهذا أشعر ان عدد الانصار في الطف لم يكن اثنين وسبعين مثلما تروي التواريخ بل كانوا ملايين الملايين يقدمون اليه من كل الازمان.

وبهذا انتصر الحسين.

قلت لصديقي الشاعر

:ـ ينتقص البعض هذه المسيرة الأربعينية ويتهمها بان مخصصة للفقراء فقط ؟!!!

:ـ الأزمنة السحيقة تعيد تأثيراتها وتضع بصماتها على المكان، ولكل فريق بصمته

وأمتداداته، ومثلما لايخلو كل زمان من حسين وكذلك لايخلو ايضا من يزيد وابن زياد وعمر ابن سعد وأمثالهم.

يقول احد الزائرين

:ـ منذ وطأت قدمي هذا الطريق أدركت بانه طريق متفرد كونه طريق التكامل،

وقال الشاعر

:ـ لأنه يحمل قدرة للارتقاء نحو التكامل فهو يطوي المساحة المادية وباستطاعته ان يرتقي الى مراتب هائلة.

ترفع رقية لعبتها

:ـ لبيك يا حسين.

قال الشاعر

:ـ لقد جهلوا حقيقة واحدة ان الله سبحانه وتعالى جعل الفقر سلما للكمال

(من اشتد فقره اشتد عقله للكمال)،

كلما تهب ريح عالية ترفرف الاعلام عاليا فتحدث قرقعة وكأنها ترجز في حرب

قلت

:ـ ياصديقي من الممكن جدا ان تتولد الكثير من القناعات عندنا لكوننا نؤمن بنهضة الحسين عليه السلام وارتباطات هذه النهضة بالتكوين الرسالي والالهي المقدس، لكني اسأل كيف نستطيع ان نقنع الآخرين بهذا الأثر،

قال الشاعر

:ـ هناك وجوه و قلوب مطموسة الملامح تولول بالقسوة والهمجية، فمن يرتضي سهم حرملة ان يبات في عنق البراءة، كيف سيقتنع بأن الإعلام الأموي اسس له منهج زيف وقام بتغيير المفاهيم الواقعية الى ترسبات سياسية تدس لتضليل الناس.

والطقوس الولائية لها تماس بالمفهوم العبودي،واما لو لجأنا كما يريدون الى التفسير الظاهري للظاهرة فهم ايضا كذبوا لكون (المشاية) لاينتمون الى طبقة معيشية واحدة فمنهم الغني ومنهم الفقير و ليس كل (المشاية) فقراء ثق هذه مجرد حجج واهية لكن الحقيقة الوحيدة التي تجعلهم يرفضون مسيرة الأربعين هي لانهم يرفضون الخشوع وهذا التذلل الطقوسي والتعب والمشي مثلما رفض كفرة قريش الاسلام واعتبروه مذلا فهم رفضوا السجود على التراب، هم تركوا بهذه التشخيصات الكثير من الثغرات التي لابد ان ينتبهوا لها، بالتأكيد نحن لانقدر ان نقنع احدا اذا لم يكن هو من يبحث عن الحقيقة،والتشنجات هي وحدها التي تنتقص مسيرة جماهيرية ولائية سلمية عفوية، أمتدّ تأثيرها انسانيا لتصبح انتماءا بذاتها تجاوز المفهوم الانتمائي المذهبي والديني وحتى المناطقي.

مارثون حسيني نظمته ضمائر حرة عاشت للحرية ثائرة على واقع متخلف، يرفض الجميع احتسابه لجهات مغرضة لإدامة الازمات.

كتب احد المثقفين الشيعة عن المسيرة الأربعينية وشخصها بانها سعي يرسخ القيم الدينية كاشاعة العدل وتشكيل معبر لتواجهات واسعة واحترام كل معتقد مكون رؤية نافذة لتأجيج روح المحبة والتسامح، ويحقق هذا المارثون الحسيني تواجداً منوعاً بسبب حالة التواصل الشعبي الفاعل، كان التحاور اثناء المسير يستوقف الكثيرين من (المشاية) اصحاب التواقيع السريعة، فاما ان يعلق بكلمة موافقة او تراه يذهب الى روح المواسآة، وينادي

:ـ يا حسين ... يا حسين

هذا الاصرار الشعبي العام هو الذي دفع الناس الى تعميم تلك المظاهر عالميا لتخرج الجاليات الاسلامية في الدول الاوربية وتمارس طقوس ولائها وتقيم تعازيها ومسيراتها في كل دول العالم.

لليل طعم آخر، فهو يلم تعب النهار،وليصبح نهارا هو الآخر، الخيام الخدمية ومضايف العشائر والمناطق وكل مكونات الاستراحة تفتح صدرها لأستراحة (المشاية) ولمنامهم، ولذلك صار في البال ان نقف عند احدى هذه المضائف.

:ـ (حياكم الله) .

:ـ (الله يخليكم) .

:ـ (الله بالخير) .

:ـ (الله بالخير عليكم) .

ناس ولهجات مختلفة تجمعوا للر احة والاستراحة وقيلولة النوم،

:ـ علينا ان نمنح انفسنا بعض الراحة، مجرد استرخاء نعيد به نشاطنا، وهذا الاسترخاء سيعمق حالات التأمل.

:ـ هل تظن أنّنا بحاجة الى النوم، لااعتقد ثق نحن بحاجة الى يقظة اكبر، الى صحوة مضاعفة نتدارس فيها كل خطوة من خطوات المارثون الحسيني لندرك سر بركتها.

:ـ دع العائلة ترتَحْ على الاقل، لتنام رقية قليلا مع جدتها في الخيمة المعدة للنساء،

دخلنا احدى تلك الخيم الكبيرة وكان هناك حديث عام مفتوح عن المسير الأربعيني وعن بركات الحسين عليه السلام، وعن ذكريات كل واحد منهم مع كرامات هذه

المسيرة المباركة قال الشاعر

:ـ لم يتعرض مذهب في تأريخ الفكر الاسلامي والعالمي لسوء الفهم والتقدير مثلما تعرضنا نحن اليه.

فجأة التفت الشباب الى الحديث واستداروا اليه وتجمعوا حولنا وكأنهم احسوا ان لدينا ثقل تفسيري او تأويلي او ربما زخم معلوماتي قد ينفعهم.

اكمل الشاعر حينها

:ـ لقد تعرض فكرنا الى التشويه الملعوب والى المصادرة والى شتى انواع القهر والمعاناة، واحتاروا فعلا معنا حتى صاروا يصطادون في اي تصرف شخصي يصدر من فر د ليعمموه على مسيرة ظافرة منحتنا القوة والقدرة، واعتقد ان الارتكاز على مثل هذه المساعي يعبر عن افلاسهم الفكري.

بعد صمت وجيز وهدوء ضاج انتشر في الخيمة قال الشاعر

:ـ قبل ايام كتب احد الكتاب الشيعة موضوعاً وهو الاستاذ (مهند حبيب السماوي) وركز فيه على مسألة مهمة حيث فلسفة المسير لم تأت من الدراسة الأكاديمية ومطالعة نظريات ارسطو من الوسط الاخلاقي والمدينة الفاضلة تلقائياً منبعهاً الحب الشديد لأهل البيت عليهم السلام والمصدر،لاإفلاطون ومنهج سقراط التهكمي التوليدي في الحوار وسفسطائية بروتو غوراس، والمتعة العقلية لأبيقور وعدمية نيتشة أو عقلانية كانط او مثالية هيجل أو تفكيكية دريدا أو بنيوية ليف شتراوس أو براغماتية وليم جيمس أو ظاهراتية هوسرل، بل قامت المسيرة الأربعينية بشكل عفوي، هو الايمان المطلق باهل بيت النبوة والايمان كما يسميه (ادوارد ينج) جسر لعبور خليج الموت ... ايمان حقيقي واقعي نابع من تجارب شعورية واحساس عميق،

:ـ القضية لاترتبط بمعنى زمني محدد

:ـ صحيح هذا المسير الأربعيني عمره يقارب عمر كربلاء

:ـ احد الجالسين قال

:ـ يبحث العالم كله عن سر القوة في المسير الأربعيني .. وسر الاصرار على التواصل في طريقهم الى الحسين عليه السلام،

:ـ رؤى وافكار وتجارب، قضية المسير الأربعيني،ليست قضية اعتباطية وانما هي وليدة جملة عوامل نفسية واجتماعية وتربوية بيتية وبيئية اذ ترتبط بمحبة أهل البيت عليهم السلام، تلخص بشعار يا ليتنا كنا معكم، قوة نفسية رمزية،

وبعدها ارتقى احد الشيوخ بمجلس حسيني على زاوية من زوايا الخيمة الكبيرة، وقد ترك مساحة كبيرة لأستراحة من يريد القيلولة ليكمل المسير، رفع يده الشيخ ليزور

:ـ (اللهم ان قلوب المخبتين اليك والهة .. وسبل الراغبين اليك شارعة، واعلام القاصدين اليك واضحة) وليستشهد بقول الامام عليه السلام، شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا،

ما ان بدات لحظات الاسترخاء حتى همس الشاعر في اذني .. اقول

:ـ ما رأيك لو اخذنا قبل النوم شوط خدمة لنشاركهم استقبال الزائرين وغسل القدور وتقديم الشاي،

:ـ مقترح جميل.. هيا لنقم

تقدم الشاعر نحوهم

:ـ (الله يساعدهم مأجورين)

وبدأ يتحدث معهم وكانه يعرفهم قبل اعوام، بهذه (الميانة) يعيش زوار المسيرة

الأربعينية اينما التقوا، واذا به يتقدم الى وسط الشارع ويقف هناك بطوله

:ـ(شاي ابو علي .. تفضل يا زاير).

&&&

مع اطلالة الفجر وبعد الصلاة انطلق المسير ثانية، انظر صوب رقية اراها وقد استعادت نشاطها.

:ـ (ها امي نمتم زين؟)

:ـ (الحمد لله ماقصرن بنات زينب).

قالت رقية

:ـ (بابا انا نمت زين) ولعبتي نامت ايضا لكن جدتي لم تنم ابدا بقيت تغسل القدور والملابس وتعينهم وما نامت.

أبداً؟

:ـ (مأجورة ان شاء الله بحب الحسين).

:ـ اليوم نسير

يقول زائر

:ـ وكل عام سنسير لنعلن للعالم نصرتنا للمذبوح بأرض الطف،

زائر آخر يوضح الأمر

:ـ هدفنا هو نصرة الحسين عليه السلام، والسير خلف ركبه الميمون.

صمت الشاعر يدفعني باتجاه مرتكزات عديدة منها انه شديد التأثر في تلك المواقف

الوجدانية وتراه يرسم ابعادها التأملية او تراه يدرسها فلذلك تأخذني لهفة الترقب لما سيقوله عند كل معترك صمت، وبعد هذا المشهد المؤثر انتبه نحوي وقال

:ـ احد العلماء ربط هذا المسير الأربعيني بالعروج الى سلم الانتظار .. انتظار صاحب الزمان عجل الله فرجه.

صرنا نقف عند حدود كل مشهد من المشاهد الكثيرة التي تمر بنا بين لحظة ولحظة، رجل مقعد يدفعه ابناؤه، والابتسامة لاتفارق محياه يشعر بفرح الملتقى مع صعوبة المعاناة، مد يده ليباغت ابنتي رقية وأخذ منها اللعبة وهو يقول

:ـ (هاي مالتي).

ورقية فاجأها الموقف كثيرا كيف بها وهي تفقد لعبتها على حين غفلة، الحركة باغتتها فاذهلتها ولهذا صاحت ودمعتها تسيح

:ـ (جدو عليك الحسين لاتآذيها)

قبل الرجل الشيخ الدمية واعطاها اياها

:ـ لاتخافي يا ابنتي نحن بأمان.

أدهشني الشاعر حين بكى بكاء ربما باغت الجميع.

لا اعرف ما الذي يبكيه في هذه اللحظة، قلت لنفسي ربما استذكر موقفاً من المواقف التي ربطت المعنى بمظلومية اهل البيت عليهم السلام، فهو مثلما اعتقد يحتاج الى حيز اكبر من غيره ليصوغ احزانه، سرعان ما انهى الشاعر حيرتي.

:ـ عندما تسمو العظمة يرق الحال، وتسمو العاطفة بنداوة اخلاق وطيبة معشر، والله كأني رأيت في هذا الشيخ (برير بن خضير) يحضر هنا يمد يد الطرفة لمزاح كان في امس

الطفوف مع زهير بن القين واليوم مع رقية ابنتك، اذ اخذ لعبتها وهذا حنو لايمتلكه الا العظماء.

لحظة صمت اعترته، ربما يحتاجها ليتأمل في اروقة الذات، ربما يسأل نفسه كيف يقدر ان يسمو الانسان لهذا الرقي، قلت لأستثمر هذا الصمت وأسأل سؤالاً أيقظ فيّ الكثير من الامور وانا اتأمل في وعي صديقي الشاعر

:ـ ماذا لو حمل كل زائر هذا الوعي ؟

:ـ لفقد المسير الأربعيني نكهته.

أدهشني الجواب حتى ظننت أني لم اسمع جيدا قلت لأتأكد

:ـ نعم؟؟!

:ـ لو توحد الفهم لفقد المسير الأربعيني طعمه ونكهته، فكل واحد منا له رؤيته، وفهمه معناه.

:ـ لكننا نتوحد في كل مسير.

:ـ هذه الرؤى المتنوعة تتوحد في معنى الرجاء، فلذلك نحن نقول ان (يا حسين) قادرة على توحيد العالم اجمع.

قالت أمي وكأنها تريد ان تؤكد خبرتها في هذا الشأن ومعرفتها في قضايا الطريق

:ـ ستصل يا بني (ما ظل شيء)

:ـ اعتقد اننا ما زلنا بعيدين عن كربلاء

رفعت الحاجة يدها وقالت

:ـ هي أمامنا.

اكتفى الشاعر بالصمت، فراح يشدو مع نفسه في قصيدة حسينية، وفجأة انتبه الى نظراتي وكأنها تتوسله الراي، فقال

:ـ هذا التوهج الروحي، الذي يشعرك دائما بأن كربلاء قريبة منك، بل هي فيك، فعلا كربلاء أمامنا على بعد اصبع الوالدة.

وشعرت فعلاً ان رائحة هذه المدينة الجليلة توقظ فينا السلام، ولابد ان نقف عند اطلالة عون عليه السلام لنصلي ونزور ونرتاح قليلا ومن ثم نتوكل على الله.

:ـ السلام عليك يا سيدي عون... ورحمة الله وبركاته

سألت الشاعر حينها

:ـ وهل يا ترى الميدان امتد كل هذه المسافة الطويلة ؟

قال الشاعر

:ـ لا ،، وانما جاء عند فريق من المؤرخين ان خاله الحسين عليه السلام ارسله الى قوم المسيب بن نجبة، وموقعهم المسيب الحالي، فتابعه شلة من جيش بن سعد، فقتلوه في هذا المكان.

مجموعة كبيرة من النساء يقمن مجلساً حسينياً داخل الحرم، ولذلك صار علينا ان نزور من الباب، بينما امي ورقية شاركن في المجلس.

:ـ لااحد يستطيع يوما ان يستهين بهذا الجهد الشعبي الخدمي الجبار، أي مدينة في العالم بهذا الحجم لايمكن لها ان تتحمل كل هذه الملايين، وان يوفر لها الماء والزاد والمنام والعلاج دون ان يحس احدهم بالتعب، انظر اليهم سترى ملامح عاشورائية تحدثك عن التفاني الذي اصبح هوية عامة، هناك وصف جميل لصديقي الشاعر اعجبني كثيرا

اذ يرى ان للخدمة الحسينية ملامح انسانية، ومواكب الخدمة هي الضوء الذي ينير الطريق.

يقول أحد خدمة المواكب الحسينية

:ـ انتبهوا .. سبايا الركب الحسيني في الطريق، بدأت اشعر بالارهاق وبشيء من الصداع وما يزال الفكر منشغلاً بابنتي رقية، بوالدتي، يقول صاحبي شيء طبيعي كلما تدنو لكربلاء يزداد الحزن والقلق، حيث تأخذ لواعج الذكريات الكثير من محاور الألم، على هذا الطريق كانت جرار الماء تعد تجاوزا على السلطة ايام النظام البائد، كانت القسوة تزيد من حلاوة المسير، كلما يكبر الأذى تزداد الفة هذا الدرب المبارك، وعلى كل حال لم يكن المسير بالشيء البسيط، قررت مع نفسي ان اقاوم الألم والوجع والمرض وأي ارهاق وصداع كي لاتشعر رقية بالتعب او الحزن، لكن الذي ادهشني فعلا ان رقية بدأت تقلق علي وأمي بدأت تكرر السؤال.

:ـ مابك يا بني، اراك وقد تعبت؟

:ـ لاماما لاشيء .. انا بخير.

علاقة حميمة تربط الناس بالطريق ـ فلذلك ترى الكل يمون على الطريق

كيف يا سبحان الله يصبح هذا الحزن رفيق البهجة، سؤال يبدو انه استوقف الكثيرين، كيف لهذا الحزن ان يبعث البهجة في الروح هذه اشياء من المؤكد لاعلا قة لها بشيء سوى الايمان .. اشياء كثيرة ايضا تشعرنا بالزهو، فالجميع هنا يصرف النظر عن كل ماديات الحياة، تسامي نادر الوجود حيث يصبح الانسان خارج الاعتياد اليومي المرحلة شعورية وجدانية.

هبت ريح باردة رغم وجود الشمس، وهنا دخلنا خيمة كبيرة لاحتساء الشاي،

حتى رقية شربت معنا قدح شاي ،، قال صديقي الشاعر وهو يضع (استكان) الشاي على المنضدة.

:ـ مأجورين ان شاء الله.

ثم التفت الي وقال

:ـ كلما انظر الى الطريق ـ اراه وهو يعانق اقدام الزائرين، يشاركهم المسير.

نعم الشارع يمشي معنا، هو الآخر.

وله ذكرياته الحزينة والجميلة له فضاءات زمنية واطياف، وله تاريخ حافل بالاسماء، وتواريخ مؤلمة مر بها ايام الأنظمة السلطوية الدموية لكنها ما استطاعت ولله الحمد ان تكبل الخطوة بالنسيان.

:ـ نعم والله.

:ـ فأينع الصبر سبيلاً...

هناك اشياء كثيرة لابد ان نقف عندها فنستثمر هذا الوقت .... لابد أن نتحاور.

وانا أشعر بان الارهاق بدأ يأخذني فعلاً، صحيح اننا سنصل كربلاء، أشعر أني سأصلها ربما بصورة أخرى.

:ـ لماذا الأربعين..؟

:ـ نعم لماذا الأربعين؟

قال الشاعر

:ـ مصادر عديدة ذكرت الأمر، منها ما يشير الى قول رسول الله ﷺ

«الارض تبكي على المؤمن اربعين صباحاً»

:ـ أربعين يوما ؟

وقال الصادق عليه السلام

:ـ **هي السماء بكت على الحسين عليه السلام .. اربعين صباحا بالدم**

قلت

:ـ الكسوف والحمرة.

وأكمل أحدهم

:ـ الملائكة بكت عليه اربعين صباحاً.

:ـ هناك امور كثيرة تدل على قدسية الأربعين .. كرجوع السبايا .. وزيارة جابر الانصاري .. لكن يبقى المهم.

:ـ ماهو؟

:ـ لو جربت يوما فسرت في هذا الشارع الطويل .. في يوم غير زيارة الأربعين لكنت استوحشت الامر.

:ـ من المؤكد سيكون هذا الطريق كئيبا مملوءا بالصمت.

:ـ تبقى قداسة المسير فيه لكن لو نظرت الى هذه الأماكن فهي بعيدة عن مجمعات البيوت والاحياء السكنية، اشعر بانها ستعيش الصمت في الأيام الأخرى تفقد جلبتها.

:ـ لو أردنا ان نقف عند خصوصية الزيارة الأربعينية.

:ـ لقد شيعت بنبؤات كثيرة .. كنبوءة زينب عليها السلام.

فعقبت أمي

:ـ والله لاتمحو ذكرنا ...

وعقب الشاعر بعدها

: وينصبون لـهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء لايدرس أثره، ولا يُمحى رسمه.

:ـ خطوة الزائر كلمة.

:ـ اشياء لاتموت.

ثم سأل الشاعر كم عمر هذا الطريق؟

:ـ كم جيل سار عليه قاصدا زيارة الحسين عليه السلام، الوجع بدأ يزداد عندي ألم الظهر ودوان في رأسي وصداع، وفقدان توازني .. بدأت أشعر بالانهيار ... لاعليّ .. ان اتماسك .. ان احمل نفسي اداري تعبي عن عيون رقية وأمي ... عليّ ان استريح قليلاً.

:ـ ماذا جرى لي يا رب ؟

هل كبرت انا اليوم ؟، هل شخت وتعبت ..؟

همست والدتي في أذني وهي تمسكني

:ـ احسك تعباناً يا ولدي.

:ـ لم يبق شيء.

يملك الانسان دائما حافزا انفعاليا، وفي هذا المسير المبارك يضاف اليه .. التفاعل الروحي .. قال حاج زائر

:ـ يقول الامام الباقر عليه السلام ..

:ـ لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقا وتقطعت انفاسهم حسرات.

.. فأجابه الشاعر

:ـ يعني ان هؤلاء الناس الذين يقيمون هذا المارثون الحسيني المبارك، ادركوا ماهية العلم الفعلي، الذي اوصلهم لهذا العشق الروحي، الذي ولدت منه البهجة التي سألت عنها.

:ـ .هذا هو الجنون الذي عشناه بنبوءة عابس؟

كل شيء هنا له دلالة .. الصخب .. المكبرات الصوتية .. اصوات عالية .. لكنها تشيد الصمت الوقور عناوين اللافتات التي رفعت أسماء الائمة عليهم السلام،

وقفت رقية امام احدى التكايا وهي تصيح بابا .. بابا .. هذه خيمة رقية.

لقد اجادت قراءة اسمها ، بدأ الالم يزداد عندي وتردت حالتي الصحية اكثر ويبدو ان الوعكة قد غزتني تماما وأخذني الدوران .. وما زلت أرى ما يدور حولي واسمع جلبة الناس وحديث صديقي الشاعر بكل وضوح

:ـ هذه الاجواء الأربعينية تمنحنا الغنى الروحي، الترف المؤمن، اليوم نعيش الحياة كقيمة اخروية هو يوم من أيام الدنيا ويوم من أيام الآخرة ..

شعرت بالدوار والالم ولم أعد استطيع الوقوف علي قدمي، همست في اذن صديقي الشاعر

:ـ دعنا نرتَح قليلاً.

:ـ لنرتاح فالجو بارد .. لنرتاح قليلاً.

كنا نسمع رقية وهي تحدث جدتها

:ـ (بيبي انا من اكبر اجيب لعابتي معي واجيب ابنتي ولعبتها).

ابتسم حينها الشاعر وقال .. احد الفلاسفة اللبنانيين قال في كتاب له عن فن صناعة الذكريات

:ـ اصنعوا لأطفالكم ذكرياتهم.

:ـ موكب فتية يتقدمهم صبي يرفع علما عالياً يهزه بقوة فيرفرف العلم وهو يصيح

:ـ لبيك يا حسين ..

والناس خلفه يصيحون

:ـ لبيك يا حسين

:ـ تلك الشعائر نتاج الثقافة ورؤى وذائقة وفهم المعنى الجمالي ..

وهذا هو الذي يخلق من اجواء الزمن بهجة روحية .

احد الزائرين يقول :ـ الحياة بلا حسين باردة ،، ودون حبه تكون الحياة ميتة.

الشاعر يعتقد

:ـ في يوم قريب وقريب جدا سيصبح العالم كله في هذا الطريق، فلذلك لابد ان نصبح نحن الطريق.

:ـ لو لم يكن الحسين لما كانت كربلاء، ولما كانت البركة والوجدان والغيرة والنصرة والسلام

:ـ كربلاء تقرأ نفسها كل يوم، قصص ـ حكايات ـ كرامات كثيرة

قال الشاعر وهو يبتسم .

:ـ هناك امنية معروفة في التأريخ تسمى امنية معاوية بن وهب،

:ـ من هو ...؟

:ـ أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

صاحت رقية

:ـ لقد وصلنا.

صاحت بها أمي

:ـ صبراً لقد وصلنا ..

ثم طلبت من الشاعر ان يكمل حديثهُ

:ـ اكملْ بني أكملْ.

:ـ بعدما عرف من الإمام الصادق عليه السلام فضل زيارة الأربعين تمنى لو ترك الحج وزار، وهذا هو تنامي الوعي العام الوارد عن طريق أئمتنا أئمة أهل البيت عليهم السلام.

هذا الوعي الذي يشعرنا بفرح النصرة ونحن على مشارف كربلاء، صرنا ننظر الى المنائر المباركة وكأنها اذرع نور ترحب بنا، قالت امي هي نعمة يا ولدي ان نصل كربلاء، صاحت ابنتي رقية

:ـ لقد وصلنا.

تردف الأم قائلة، كلما دخلنا الى كربلاء ازدادت مساحة النعمة والضيافة من زاد

وماء، فنشكر الله دائما ونحمده،

شعرت بدوار بسيط فصرت أرى قدمي وكأنها جزء من الارض وصحتُ كذلك بصوت عالٍ

:ـ لبيك يا حسين.

فهذا النداء يعيد لي التوازن النفسي ويخلق لي راحة نفسية اقدر فيها على جميع قواي المتعبة، صرت استقي من تصابر أمي ومن براءة ابنتي رقية الكثير من مقومات التواصل، هناك احساسات مخنوقة تشدني الى البكاء، بوح كبير بلهجة غاضبة يعتمر الصدر، قلت لصديقي الشاعر

:ـ أين أنت؟

:ـ أنا موجود.

قدماي ما عادا يطيقان حمل جسدي صرت لا ابصر بوضوح وعيناي تجولان في الأفق هناك عند منارة سيد الشهداء، الدموع تلهب فيهما، بينما تلتهب الشجون في حلقي

:ـ لبيك يا حسين.

كان الجو ينث مطرا خفيفا والسماء ملبدة بالغيوم ومع هذا كانت المنائر ساطعة،

تسألني أمي

:ـ مابك يا ولدي؟

رقية تصرخ

:ـ بابا، ما عدت أسمع شيئاً، وماعدت استطيع الكلام ويبدو أني قلت

:ـ اطمئنوا .. لاشيء هناك.

واعتقد اني سمعت الشاعر يقول

:ـ لابأس عليك ان ترتاح قليلاً.

وهو يحملني الى اقرب خيمة للعلاج، وحين أفقت رأيت رقية تبكي وهي تمسك يدي.

:ـ بابا قم وصلنا كربلاء.

وأمي ترفع يد الدعاء الى الله.

:ـ يا رب ارجع لي ولدي سالما.

ربما سيظن من يراني اني تعبت وقد أعياني المسير بينما انا قادر ان أبدأ من جديد

:ـ ما الذي حدث ؟

:ـ لااعرف لكني رأيت نورا ساطعا يبرق من القباب المباركة، يمر فوق رؤوس الزائرين، وكأنه يريد ان يطمئن عليهم واحدا واحدا، وراح الى هناك.

عقبت امي بقراءة آية من القرآن الكريم ..(تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر) فقال صديقي الشاعر

:ـ رؤيا مباركة ان شاء الله

:ـ هي ليست رؤيا يا صديقي .. اني رأيت النور الساطع بعيني .. شاهدت النور المكلل بالهيبة وهو يتفقد الزائرين، صرت اسمع شهيق الحرب وصهيل الخيول وأرى كأن كربلاء مجموعة تلال عند كل تلة من تلالها تقف امرأة متشحة بالسواد تنادي :ـ واكربلاه.

وسمعت الهاتف ياصديقي ينادي

:ـ هل من ناصر ينصرنا؟

وبالمقابل هناك جيوش من نار ورماح ونبال معدة لذبح كل رضيع .. اشعر ان كربلاء مذبوحة من الوريد يا صديقي.

قال صديقي

:ـ يبدو ان هناك انفجاراً، عمل ارهابي قرب مرقد الإمام عون عليه السلام .

وبعد لم يكمل صاحبي الحديث رأيت سيارات الإسعاف بدأت تدخل المدينة وهي ترفع مكبرات جهاز الانذار ليترك لها الطريق، تتدحرج الى مخيلتي صور المطاردات التي كانت تلاحق الزائرين، أيام الجور الطاغوتي، المطر بدأ يتساقط بغزارة على كربلاء.

نظرت حولي لأرى كل شيء على ماهو عليه،دخول الزائرين الى كربلاء أفواجاً أفواجاً، اصوات التعازي والمواكب السخية استقبال كبير من قبل الهيئات والمواكب الحسينية في عنان السماء تعلن جمل الضيافة والكرم.

:ـ ماء سبيل يا عطشان.

:ـ (زاد ابو علي) ... تفضل يا زائر .

فادركت ان هذه المدينة لاتتأثر بشيء، ولا يلهيها عن دورها طارىء ما، فناديت بأعلى الصوت

:ـ لماذا يفجروننا ؟!!

نحن اخترنا الحسين عليه السلام ناصراً ونصيراً، ونسعى ليفهم العالم ان هذا المسير الأربعيني، هو الربيع العربي الإنساني الحقيقي ليوحد الأمة لا ليفرقها،

قال الشاعر حكمته الأخيرة

:ـ الأهم اننا نصل رغم ما يفعلون ...ونصل دائما .. قم لنزُرْ.

:ـ السلام عليك يا سيدي يا ابا عبد الله الحسين.

:ـ لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به.